

التفسير المطول - سورة الكهف 018 - الدرس 01-08 : تفسير الآيات 1 - 8 ،  
نِعْمَ اللَّهُ . .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ : 16-10-1987

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ،  
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا  
وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن  
يستمعون القول فينتبهون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

سورة الكهف تؤكد العقيدة الصحيحة وتوضح المنهج الصحيح وتصحح بعض القيم .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ مع الدرس الأول من سورة الكهف : بسم الله الرحمن الرحيم  
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا \* قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ  
لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا \* مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا \* وَيُنذِرَ  
الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وُلَدًا \* مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ  
يُقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ . . .

ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ هذه السورة يوم الجمعة ، عن أبي  
سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين .**

الجامع الصغير بسند صحيح

والذي يغلب على هذه السورة القصص ، ففيها قصة أهل الكهف ، وقصة سيدنا  
موسى مع سيدنا الخضر ، وفيها قصة ذي القرنين ، وهذه القصص إنما تؤكد العقيدة الصحيحة  
، وتوضح المنهج الصحيح ، وتصحح بعض القيم .

في هذه السورة تصحيح للعقيدة ، وللمنهج ، وللقيم ، وسوف تأتي على هذه بالتفصيل  
، في أثناء شرح الآيات .

قبل كل شيء ، يقول الله سبحانه وتعالى في مطلع هذه السورة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أما كلمة الحمد فتعني النعم ، لأن الإنسان يحمد على النعمة ، فكلمة الحمد وحدها تشير إلى أن الإنسان محاط بنعم لا تعد ولا تحصى ، يعجز المرء عن إحصائها فضلاً عن شكرها ، نعمة الوجود ، نعمة الإمداد ، نعمة الهدى ، نعمة هذه الأجهزة التي زودنا الله بها ، نعمة البصر ، نعمة السمع ، نعمة التفكير ، نعمة الإدراك ، نعمة الزوجة ، نعمة الأولاد ، نعمة الماء العذب الذي صفاه الله لنا ، نعمة الحيوانات التي ذللها الله لنا ، نعمة النبات الذي يخرج من الأرض من دون جهد منا .

لو ذهبنا إلى تعداد النعم لانقضى العمر قبل أن نتقضي بعضها ، لذلك كلمة الحمد وحدها تعني أن الإنسان محاط بنعم لا تعد ولا تحصى ، ولكن المشكلة لا أحد على وجه الأرض ينكر أن يكون الإنسان محاطاً بالنعم ، ولكن المشكلة أن هذا الحمد لمن ؟ إنه الله .

أهل الكفر يعززون هذه النعم إلى أنفسهم ، إلى جهودهم ، إلى آلهة أشركوها مع الله عز وجل ، المشكلة أن النعمة موجودة ، ولكن من صاحبها ؟ من الذي يستحق الشكر عليها ؟ يا داود ، ذكر عبادي بإنعامي عليهم ، فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها .

لو أن إنساناً أسدى إليك نعمة ، أو عطاءً ، إنك تظل إلى أمد طويلٍ طويلٍ تشكره من أعماقك ، فما بالك وقد أنعم الله عليك بهذا الخلق السوي ؟ إذا نظر الإنسان إلى وجهه في المرآة يجب أن يشكر الله عز وجل .

وكان عليه الصلاة والسلام : إذا نظر إلى وجهه ، دعا بدعاء ، فعن عائشة أنها قالت : كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول :

**اللهم أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي .**

إرواء الغليل : خلاصة حكم المحدث : صحيح

يا رب كيف أشكرك ؟ فقال الله عز وجل : تذكرني ولا تنساني ، إنك إذا ذكرتني شكرتني ، وإذا ما نسيتني كفرتني .

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42)**

سورة الأحزاب

اذكروه ذكراً كثيراً ، إنك إذا ذكرته شكرته ، وإذا ما نسيتَه كفرته ، علامة الشكر أن تكثر ذكره ، أن تعرف أن هذه النعمة من عنده . فكلمة الحمد فقط وحدها تعني أنك محاط بنعم لا حدود لها ، لا تنتهي ، لا حصر لها ، الحمد .

### وجوب شكر الله على نعمه :

أما كلمة لله فهذه النعم التي أنت فيها يجب أن تشكر الله عليها ، لأن الله هو مصدرها ، هذا هو الفرق بين المؤمن والكافر ، المؤمن يعرف أن هذه النعم من عند الله ، وغير المؤمن ينسبها إلى غير الله ، وفي الحديث القدسي عن أبي الدرداء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ :

**إني والإنس في نأ عظيم ، أخلق ويعبد خيري ، وأرزق ويشكر سواي ، خيري إلى العباد نازل ، وشهرهم إلي صاعد ، أحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عليّ منهم ناديته من قريب ، أهل ذكري ، أهل مودتي ، أهل شكري ، أهل زياتي ، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعائب ، الحسنه عندي بعشرة أمثالها وأزيد ، والسئنة بمثلها وأعفو ، وأنا أرفأ بعبدي من الأم بولدها**

ضعفه السيوطي في الجامع الصغير ، وكذا المناوي في فيض القدير

رجل بلغ أعلى المراتب ، حصل أعلى الشهادات ، احتل أرفع المناصب ، كل شيء على ما يرام ، فجأة يفقد بصره ، يقول لصديقه : أتمنى أن أجلس على الرصيف ، وأتسول ، وأن يرد الله إلي بصري ، يوم تمتعت بنعمة البصر هل عرفت أن هذه النعمة من الله عز وجل ؟ جعلك ترى الأشياء التي تحبها ، ترى الألوان ، نعمة السمع ينبغي أن نعرفها قبل أن نفقدها . من علامة التوفيق أن ترى النعمة بوجودها لا بفقدها ، لكن الناس جميعاً إذا فقدوا بعض النعم تحسسوا لها ، وعندئذ عرفوا قيمتها ، لكن البطولة أن تعرف النعمة وأنت مستمتع بها ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، و قوتنا ما أحبيتنا ، واجعله الوارث منا ، فهذا ينسحب أيضاً على سورة الفاتحة تقول في كل صلاة وفي كل ركعة : الحمد لله رب العالمين ، لو أن قناة العين الدمعية ، وهي أدق قناة في الإنسان لو أنها أغلقت لاضطرتت أن تمسك منديلاً تمسح الدمع الذي يفيض على خديك طوال النهار ، ولأثر هذا الدمع على صفحة الوجه ، وترك بعض أنواع الالتهاب ، هذه القناة الدمعية .

جهاز التوازن الذي منحك الله إياه لولاها لا تستطيع أن تسير على قدمين .  
الأذنان ؛ لو أن للإنسان أذناً واحدة لما عرف جهة الصوت ، ولكن الصوت إذا  
جاءك من خلفك ، هناك جهاز في الدماغ يقيس تفاضل وصول الصوتين إلى الأذنين ،  
والتفاضل واحد على ألف وستمئة وخمسين جزءاً من الثانية ، فتعرف أنت من خلال الأذنين أن  
جهة الصوت من اليمين ، فإذا كان بوق السيارة من اليمين فتتجه نحو اليسار .  
ولو أن للإنسان عيناً واحدة لما عرف البعد الثالث ، بالعين الواحدة يرى الطول  
والعرض ، وبالعينين يرى الطول والعرض والبعد الثالث .  
لو أن في الشعر أعصاباً حسية لما أمكننا أن نطلق رؤوسنا ، ما هذه الحكمة البالغة  
أن الأظافر والشعر ليس فيهما أعصاب حسية ؟ خلقنا فسوانا .

#### لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)

سورة التين

#### الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)

سورة الانفطار

نعمة الخلق ، ونعمة الأجهزة ، ونعمة الأعضاء ، ونعمة الزوجة ، ونعمة الولد ،  
ونعمة الدفء ، ونعمة الشمس ، ونعمة القمر ، ونعمة الطعام ، ونعمة الشراب ، هذه النعم ،  
لذلك يقول الله عز وجل :

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)

سورة إبراهيم

في الآية دقة بالغة ، لم يقل الله عز وجل : وإن تعدوا نعم الله ، قال : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا  
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ إنك إذا أمضيت كل حياتك في تعداد الفوائد المترتبة على نعمة واحدة لا  
تستطيع ، فإن كنت عاجزاً عن أن تحصي هذه النعم فأنت عن شكرها أعجز ، الحمد لله .

#### نعمة إنزال الكتاب توازي نعمة خلق الكون :

لكن الحمد هنا متعلق بشيء آخر ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ . .

في سورة أخرى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)

سورة الأنعام

يوجد توازٍ ، خلق السماوات والأرض شيء يُحمد الله عليه ، وإنزال هذا الكتاب شيء  
آخر يُحمد الله عليه .

توضيحاً لهذه الآية ؛ لو أنك اشتريت جهازاً بالغ التعقيد لتحليل الدم ، وإن كل نقطة من هذا الدم إذا وضعت على الجهاز أعطتك عشرين تحليلاً بكبسة زر ، وإنك إذا استعملت هذا الجهاز ، استثمرته تجارياً ربما عاد عليك في اليوم بمئات الألوف ، لكنك لا تستطيع أن تشغله إلا بتعليمات الشركة ، والشركة أرسلت لك هذا الجهاز من دون تعليمات ، فمع أن ثمنه باهظ ، ومع أن دخله كبير جداً ، إلا أن هذا الجهاز مفتقر إلى تعليمات ترسلها الشركة ، فربما كانت هذه التعليمات لا تقل قيمة عن الجهاز ، لأن الجهاز من دون تعليمات معطل ، جمدت ثمنه ، وتعطل استثماره ، فإذا حصلت على هذه التعليمات ، وأمكنتك بموجبها أن تشغل الجهاز ، وأن تجني منه مئات الألوف ، تحس أن هذه التعليمات المكتوبة لا تقل عن هذا الجهاز الضخم ، من هنا جاء قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ خلق السماوات ، خلق المجرات ، خلق الشمس ، خلق القمر ، خلق النجوم ، خلق الأرض ، خلق الجبال ، خلق الوديان ، الصحارى ، السهول ، البحار ، الأنهار ، الأسماك ، الطيور ، الإنسان ، الغابات ، فإذا لم تعرف الله عز وجل ، إذا تحركت على الأرض وفق الهوى ، وفق الشهوة ، هلكت وأهلكت ، إذا ما قيمة الكون ؟ لكن ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ . .

هذا الكتاب يقول لك : افعل ولا تفعل ، كُلْ هذا الطعام ، ودع لحم الخنزير ، اشرب هذا الشراب ، ودع الخمر ، تزوج ، ولا تزن ، إن هذا الكتاب يوضح لك الطريق إلى سعادة الدنيا والآخرة ، المنهج السليم إلى السلامة في الدنيا والآخرة ، فلذلك نعمة الكتاب توازي نعمة خلق الكون ، والدليل القرآن الكريم : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ خلق السماوات والأرض نعمة الإيجاد ، والكتاب نعمة الإرشاد ، وربما لا تقل نعمة الإرشاد عن نعمة الإيجاد ، وما قيمة وجودنا من دون هدى ؟ وما قيمة الهدى من دون وجودنا ؟ شيان متكاملان ؛ الإيجاد والهدى .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ أي إذا قرأت هذا الكتاب ، ووعيت ما في الكتاب ، وطبقت ما في الكتاب ، فعشت حياة سعيدة ، فيها الطمأنينة ، والسكينة ، والاستبشار ، والنقاؤل ، وعرفت أن هذه الحياة مؤقتة ، وأنها مزرعة للآخرة ، وأن الدنيا دار تكليف ، وأن الآخرة دار تشريف ، إذا عرفت هذه الحقائق ، واتصلت بالله عز وجل ، وسعدت بقربه ، بعد أن استنمت على أمره ، إذا فعلت كل هذا تعرف أن هذا الكتاب يُحمد الله عليه كما يحمد على خلق السماوات والأرض ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ . .

ما قيمة الجامعة وأبنيتها الشاهقة وملاعبها ومكتبتها وقاعات المحاضرات من دون كتب ومن دون تدريس ؟ روح الجامعة التدريس والكتب ، فكأن البناء شيء ، والمنهج والمدرس والكتاب شيء آخر ، ربما كان هو الأهم ، إذاً نحن أمام نعمتين كبيرتين ؛ نعمة الإيجاد ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، و نعمة الإرشاد ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ لذلك قال الله عز وجل :

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)

سورة طه

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)

سورة البقرة

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ النبي عليه الصلاة والسلام عبده ورسوله ، مقام العبودية أرفع مقام يناله الإنسان على وجه الأرض ، أرفع مقام يناله الإنسان على وجه الأرض أن يكون عبداً لله ، العبودية أن تتقاد انقياداً طوعياً إلى أوامر الله كلها ، صغيرها وكبيرها ، في شتى المناحي والميادين ، انقياداً طوعياً ، عندئذٍ بعد أن تتقاد انقياداً طوعياً هذا الانقياد لابد من أن يبني على معرفة يقينية ، إذا بني الانقياد الطوعي على معرفة يقينية انتهى هذا الانقياد إلى سعادة أبدية في الدنيا والآخرة ، لذلك :

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

سورة الذاريات

لذلك ؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أي أرفع مقام إذا كنت عبداً لله بالمعنى الصحيح الذي أراده الله عز وجل تكون قد حققت الهدف الذي من أجله خلقت ، وما أروع أن يعرف الإنسان الهدف الذي من أجله خلق ، وما أروع أيضاً أن يكون في الطريق الصحيح نحو هذا الهدف الذي من أجله خلق ، أن تعبد الله ، أن تطيعه في المنشط والمكروه ، فيما عرفت حكمته ، وفيما لم تعرف ، أن تطيعه في علاقاتك كلها مع جيرانك ، مع

زوجتك ، مع أولادك ، مع من تحب ، مع من تبغض ، مع أعدائك ، مع أصحابك ، مع من تتعامل معهم .

الكتاب هو القرآن الكريم وهو منهج للناس جميعاً :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ الكتاب أي القرآن الكريم ، وفي بعض

التفسير مطلق الكتب السماوية ، أي الله عز وجل خلق الخلق ، وهداهم إلى الصراط المستقيم :  
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ  
الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)

سورة البقرة

أي لا تتقطع الأرض عن الهدى الرباني . عن كميل بن زياد :

أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِالْكُوفَةِ ، فخرَجْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى  
الجبانِ ، فلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ صُعْدَاءً ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ ،  
وخَيْرُهَا أَوْعَاها لِلْعِلْمِ ، احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ ، النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ، وَمَتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ  
نِجَاةٍ ، وَهَمَّجٌ رَعَاغٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ  
يَلْجَأُوا إِلَى رِكْنٍ وَثِيقٍ ، يَا كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ  
المالَ ، الْمَالُ يُنْفِصُهُ النِّفْقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ ، يَا كَمِيلُ بْنُ زِيَادٍ ، مَحَبَّةُ الْعَالِمِ دِينٌ  
يُدَانُ ، تُكْسِبُهُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ ، وَجَمِيلَ الْأَحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَمَنْفَعَةَ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوْلِهِ ، الْعِلْمُ  
حَاكِمٌ ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ ، يَا كَمِيلُ ، مَاتَ خُزَّانُ الْمَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ  
الدَّهْرُ ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ ، وَإِنَّ هَهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ - لَعَلَّمَا  
جَمًّا لَوْ أَصَبْتُ حَمَلَةً ، بَلَى أَصَبْتُ لَقَبًا غَيْرَ مَأْمُونٍ ، يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدِّينِ بِالْدُّنْيَا . . . وَذَكَرَ  
الحديث .

ابن عساکر : تاريخ دمشق : خلاصة حكم المحدث : طريق غريب

إِذَا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ الكتاب هو هذا

القرآن الكريم ، هو الدستور ، هو الغنى الذي لا فقر بعده ولا غنى دونه ، هو الذي قال عنه  
صلى الله عليه وسلم :

لا يحزن قارئ القرآن .

لم أجده في كتب الحديث

هو الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم :

من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت .

لم أجده في كتب الحديث

كتاب الله عز وجل كامل لأنه من عند الحكيم الخبير :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ لا يوجد خلل ، ولا شطط ، ولا إفراط ، ولا تفريط ، ولا خطأ ، ولا تناقض ، ولا مبالغة ، ولا إغفال ، كيف أن الكون كامل ؟

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4)

سورة الملك

كيف أن الكون على أكمل وجه ، هذا الكون خَلَقَهُ ، وهذا القرآن كلامه ، ولا بد من تناسب بين خلقه وكلامه ، كما أن الكون مطلق الكمال ، كذلك هذا القرآن في مضمونه ، وفي أسلوبه ، وفي مبادئه ، وفي قيمه ، وفي قصصه ، كله كمال في كمال ، يشبه هذه الآية قول الله عز وجل :

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)

سورة الإسراء

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ما من كتاب ألفه بشر إلا وفيه خلل ، نقص ، زيادة ، إيجاز مخل ، إطناب ممل ، اضطراب ، تناقض خفي ، نقص ، زيادة ، مبالغة ، ما من كتاب ألفه بشر إلا وفيه خلل إلا كتاب الله عز وجل ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ والحقيقة أنه مضى على نزول هذا القرآن الكريم أكثر من 1400 عام ، ومع ذلك لم يظهر في العالم كله حقيقة علمية تُبطل بعض آياته ، أو تعطل أحكامه ، لأنه من عند الحكيم الخبير .

معنى قِيمًا :

1 . قيم على مصالح الناس :



﴿ **وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا** ﴾ معنى قَيِّمًا أنه مستقيم ، أي كل شيء فيه على أكمل ما يرام ، أولاً : قَيِّمًا على مصالح الناس ، أي الأمور التي نحن بحاجة إليها عالجها القرآن ، الأمور الأساسية في حياتنا ، موضوع الزواج ، موضوع الطلاق ، موضوع الميراث ، موضوع تطهير النفس ، إقبالها على الله عز وجل ، هذه العبادات ، وهذه الآيات ، وهذه الإشارات ، وتلك الأحكام ، وهذه الأوامر ، وهذه النواهي ، وهذا الوعد ، وذاك الوعيد ، هذا كله على أحسن ما يرام في القرآن الكريم . ﴿ **قَيِّمًا** ﴾ أي قَيِّمًا على مصالح الناس ، ما من صغيرة ، ولا كبيرة إلا أحصاها الله عز وجل في الكتاب .

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ  
ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38)

سورة الأنعام

## 2 . قيم على الكتب السماوية كلها :

المعنى الثاني أنه قيّم على الكتب السماوية كلها ، ومهيمناً عليها .

## 3 . مستقيم لا عوج فيه :

المعنى الثالث : أنه مستقيم ، ومعنى مستقيم ، أي صحيح مئة في المئة ، كيف أن الله عز وجل لم يجعل له عوجاً ؟ أي جعله مستقيماً ، والاستقامة هنا استقامة بمعنى أن كل ما فيه صحيح ، وكل ما فيه حق صريح .

مضمون هذا الكتاب وهو القرآن الكريم حقٌّ وأنزل على النبي الكريم بالحق :

بعضهم قال : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا** ﴾ ، هذه الهاء تعود على مَنْ ؟ المعنى الأول تعود على الكتاب .  
وبعضهم أعادها على النبي عليه الصلاة والسلام ، ولم يجعل لهذا النبي عوجاً ، لا في أخلاقه ، لا في معاملته ، لا في دعوته ، لا في منطقته ، لا في حياته الخاصة ، كل ما في حياته كمال في كمال . فلذلك الكتاب :

## وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105)

سورة الإسراء

مضمون هذا الكتاب حق ، وأنزل على النبي الكريم بالحق ، هذه الآية بمعناها الأول والثاني تؤكد تلك الآية : ﴿ **وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ** ﴾ أي لهذا النبي الكريم ﴿ **عَوْجًا** ﴾ لا في أخلاقه ، لا في حديثه ، لا في معاملته ،

وأكملُ منك لم تر قطُّ عيني      وأكملُ منك لم تلدِ النساءِ  
خُلِقْتَ مُبْرَأً من كَأْسِ عَيْبٍ      كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كما تشاء

\*\*\*

هذا معنى قول الله عز وجل :

### وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)

سورة القلم

﴿ **وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ** ﴾ للنبي الكريم عوجاً ، ولقد شهدوا له بقولهم : عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها :

مَا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوِزًا بِهَا خَيْرَ جَارٍ ، النَّجَاشِيِّ ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا ، وَعَبَدْنَا اللَّهَ لَا نُؤَدِي ، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا انْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَدِيدَيْنِ وَأَنْ يُهْدُوا النَّجَاشِيَّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطَرُّ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدْمُ ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا ، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً ، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ ، وَأَمْرُوهُمَا أَمْرَهُمْ ، وَقَالُوا لَهُمَا : ادْفَعُوا إِلَى كُلِّ بَطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ ، ثُمَّ سَلَوْهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ . قَالَتْ : فَخَرَجَا ، فَقَدِّمْنَا عَلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٌ إِلَّا دَفَعْنَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَنَا النَّجَاشِيَّ ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بَطْرِيقٍ مِنْهُمْ : إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءٌ فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَجَاؤُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ؛ لِيُرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا ، وَلَا يُكَلِّمَهُمْ؛ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ . فَقَالُوا لَهُمَا : نَعَمْ . ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ ، فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا ، ثُمَّ كَلَّمَاهُ ، فَقَالَا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءٌ ، فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ ، وَجَاؤُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ؛ لِيُرَدَّهُمْ إِلَيْهِمْ؛ فَهَمَّ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ . قَالَتْ : وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيَّ كَلَامَهُمْ . فَقَالَتْ

بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ : صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا ، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ؛ فَأَسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا ، فَلِيَزِدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ . قال : فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ، ثُمَّ قَالَ : لَا هَا اللَّهُ أَيُّمُ اللَّهُ إِذَنْ لَا أَسْلَمُهُمْ إِلَيْهِمَا ، وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي ، وَنَزَلُوا بِبِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمَ إِلَيْهِمَا ، وَرَدَدْتُهُمَ إِلَى قَوْمِهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمَ مِنْهُمَا ، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي . قالت : ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ . قالوا : نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَائِنْ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنْ . فَلَمَّا جَاوَوْهُ وَقَدِ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَتَشَرُّوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ ، سَأَلَهُمْ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّمِ ؟ قالت : فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ ، وَنَقَطِّعُ الْأَرْحَامَ ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ ، يَاكُلُ الْقَوِيُّ مِنْهُ الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُؤَدِّعَهُ ، وَنَعْبُدَهُ ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَمَرْنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِمَائِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَقَوْلِ الزُّورِ ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَمَرْنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ . قالت : فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ ، فَصَدَّقْنَاهُ ، وَأَمَّنَّا بِهِ ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا ، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا ، فَعَذَّبُونَا ، وَفَتَنُونَا عَن دِينِنَا؛ لِيُرِدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ ، فَلَمَّا قَهَرُونَا ، وَظَلَمُونَا ، وَشَقُّوا عَلَيْنَا ، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا ، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ ، وَرَغَبْنَا فِي جِوَارِكَ ، وَرَجَوْنَا أَلَّا نُظَلَّمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . قالت : فقال له النَّجَاشِيُّ : هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ قالت : فقال له جَعْفَرٌ : نَعَمْ . فقال له النَّجَاشِيُّ : فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ . فقرأ عليه صَدْرًا مِنْ {كهيعص} ، قالت : فبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ : إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيَخْرُجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ ، انْطَلَقَا فَوَاللَّهِ لَا أَسْلَمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا ، وَلَا أَكَادُ . قالت أُمُّ سَلَمَةَ : فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : وَاللَّهِ لَأُنَبِّئَنَّه غَدًا عَيْنَهُمْ عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ . قالت : فقال له عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَكَانَ أَنْقَى الرَّجُلَيْنِ فِيْنَا : لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا . قال : وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّه أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ . قالت : ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْعَدَا ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّهُمْ

يَقُولُونَ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا ، فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ . قَالَتْ : فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ ، قَالَتْ : وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلَهَا ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَاذَا تَقُولُونَ فِي عَيْسَى إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ ؟ قَالُوا : نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيِّنَا ، كَانَتْ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ . فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ : مَا تَقُولُونَ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيِّنَا؛ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَرَسُولُهُ ، وَرُوحُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أُلْفَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ . قَالَتْ : فَضْرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُوْدًا ، ثُمَّ قَالَ : مَا عَدَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا قُلْتِ هَذَا الْعُوْدَ . فَتَنَاحَرَتْ بِطَارِقَتِهِ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ ، فَقَالَ : وَإِنْ نَحَرْتُمْ وَاللَّهِ ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ : الْأَمْنُونَ - ، مَنْ سَبَّكُمْ عُزْمٌ ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ عُزْمٌ ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنْبِيَّ آدِيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالذَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ : الْجَبَلُ - ، زُودُوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا؛ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِي فِئْتِهِمْ فِيهِ . قَالَتْ : فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحِينَ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَ بِهِ ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِحَيْرِ دَارٍ ، مَعَ خَيْرِ جَارٍ . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ - يَعْنِي : مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ - قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنِ حَزْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ؛ تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ ، فَيَأْتِي رَجُلًا لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ ، قَالَتْ : وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عَرْضُ النَّيْلِ . قَالَتْ : فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقَعَةَ الْقَوْمِ ، ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبَرِ ؟ قَالَتْ : فَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ الْعَوَّامِ : أَنَا . قَالَتْ : وَكَانَ مِنْ أَحَدِثِ الْقَوْمِ سِنًّا ، قَالَتْ : فَتَفَخَّخُوا لَهُ قَرِيبَةً ، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ، ثُمَّ سَبَّحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النَّيْلِ الَّتِي بِهَا مُلَّتَقَى الْقَوْمِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ ، قَالَتْ : وَدَعَوْنَا اللَّهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهْرِ عَلَى عَدْوِهِ وَالتَّمَكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ ، وَاسْتَوَسَّقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي حَيْرِ مَنْزِلٍ ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِمَكَّةَ .

اسناده صحيح أخرجه أحمد (1740) باختلاف يسير ، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) ((115/1)) مختصراً

من لم يعرف الله في الرخاء لن يعرفه في الشدة :

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا \* فَيَمَّا لِيُذْرَ أَيَّامًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ من السذاجة أن يطمئن الإنسان إلى حاضره ، الحاضر جيد ، لكن ماذا يخبئ الغيب ؟ إذا الإنسان ما عرف الله عز وجل ، ولا استقام على أمره ، ولا عرف الهدف من وجوده ، ولا عرف المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه ، فلماذا يعيش ؟ ﴿لِيُذْرَ

**بَأْسًا شَدِيدًا** ﴿ أي إذا الإنسان ما تعرف إلى الله في الرخاء لن يعرفه في الشدة ، فكأن هذا القرآن يبلغنا إن مع الحياة موتاً ، وإن مع العز ذلاً ، وإن لكل شيء حسيباً ، وإن على كل شيء رقيباً ، وإن لكل حسنة ثواباً ، ولكل سيئة عقاباً ﴾ **لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا** ﴿ الأمور لا تدوم على هذه الحال ، الآن نحن شباب ، في يوم سيأتي سن الكهولة ، سن الشيخوخة ، سن الضعف ، يأتي ملك الموت ، إما إلى جنة يدوم نعيمها ، أو إلى نارٍ لا ينفذ عذابها ﴾ **لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا** ﴿ ، لا تغتر بحاضرِك ، فالعبرة للمستقبل ، العبرة بخواتيم الأعمال ، العبرة لخريف العمر ، العبرة لساعة اللقاء ، العبرة في ساعة مغادرة الدنيا ، هنا البطولة :

ليس من يقطع طرقاً بطلاً  
إنما من يتقي الله البطل

\*\*\*

﴿ **لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا** ﴾ فكل إنسان مغتر ، الشاب بشبابه ، والغني بماله ، وصاحب المكانة الرفيعة بمكانته ، وصاحب النسب العريق بنسبه ، وصاحب الشكل الجميل بجماله ، هذا غرور ، ربنا عز وجل قال :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا  
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (33)

سورة لقمان

أي الشيطان .

فهذا الكتاب يقول لك : إن مع هذه الدنيا آخرة ، مع العز ذل ، مع الغنى فقر ، مع الحياة موت ، مع الرخاء ضيق ، الأمور لا تبقى على ما هي عليه ﴿ **لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ** ﴾ أي الإنسان الغافل ، الساهي ، اللاهي ، المنغمس في الدنيا ، في جمع الدرهم والدينار ، المتهافت على الشهوات ، الذي همه بطنه ، وهمه فرجه ، وهمه خميصته ، وهمه درهمه وديناره ، عن زيد بن ثابت قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

من كانت الدنيا همّه ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما كُتِبَ له ، ومن كانت الآخرة نيته ، جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة .

السلسلة الصحيحة : خلاصة حكم المحدث : إسناده جيد رجاله ثقات

﴿ قَتِيماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً ﴾ البطولة ألا تغتر بالحاضر ، يوم مفقود ، ويوم مشهود ، ويوم مورود ، ويوم موعود ، ويوم ممدود ، الماضي مضى ، والمشهود سيمضي ، لكن البطولة أن تصل إلى اليوم الممدود ، وأنت من أهل الجنة ، لينذر كل إنسان ، كل إنسان غفل عن الله عز وجل ، كل إنسان غفل عن هذا الكتاب ، غفل عن مضمونه ، كل إنسان جعله وراء ظهره ، كل إنسان هجره ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً ﴾ ، والشيء الواقعي أن الإنسان إذا هجر كتاب الله ، أي تركه ، لم يعمل به ، لم يأبه لقوانينه ، لم يعتد بها ، لم يشعر أنها خطيرة ، قال : هذا كلام الله نقرؤه تبركاً ، وفي علاقاته المالية خالفه ، في علاقته مع زوجته خالفه ، في علاقاته الاجتماعية خالفه ، ثار المجتمع ، هذا الذي يخالف كتاب الله عز وجل ، لا بد من أن يأتيه الهلاك في الدنيا قبل الآخرة ، في الدنيا ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً ﴾ هناك أمراض وبيلة ، هناك فقر مدقع ، هناك ذل شديد ، هناك أمراض ، هناك مصائب لا يعلمها إلا الله ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً ﴾ ، الحقيقة أن كل إنسان في حضره مرخى له الحبل ، فإذا كان نكياً يرى هذا الحبل المرخى ، في لحظة ما يُشد الحبل ، أما الأحمق فلا يرى الحبل كلياً ، يظن أنه حر لا أحد يحاسبه ، في ساعة واحدة تتقلب الآية ، يقلب - كما يقولون - له الدهر ظهر المجن ، وهذه عبارة أدبية ، أي فجأة يُشد الحبل ، فإذا هو أمام مشكلات لا يملك لها حلاً ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ﴾ هذا المؤمن الذي عرف الله ، آمن بوجوده ، آمن بوجدانيته ، آمن برحمته ، آمن بحكمته ، آمن بقدرته ، عرف أنه لا إله إلا الله ، لا معز إلا الله ، لا مذل إلا الله ، لا معطي إلا الله ، لا مانع إلا الله ، لا رافع إلا الله ، لا خافض إلا الله ، هذا الذي آمن بالله ، وعمل صالحاً ، أي أطاع الله ، واستقام على أمره ، خدم الخلق ، كان عنصراً نافعاً .

على الإنسان أن تكون علاقته طيبة مع الله الذي يبقى إلى الأبد :

هذا الذي عرف الله واستقام على أمره ﴿ وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً \* مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبْداً ﴾ .

ماذا أقول لكم عن الأبد ؟ كيف نفهم الأبد ؟ شيء يفوق التصور ، لو قلنا : ألف مليون ، مليون ، مليون ، مليون ، مليون ، مليون ، مليون ، حتى ينقطع النفس ، وألف

مليون ، مليون ، مليون ، مليون ، حتى ينقطع النفس الثاني ، ولو أن للإنسان أنفاساً منذ أن ولد وحتى يموت يقول : ألف مليون ، مليون ، مليون ، الأبد أكبر من ذلك .

لو أخذت كيساً من الطحين الكبير ، ولعقت منه لعقّة ، وجئت بمجهر ، وعددت هذه الدقيقات ، إذا كل دقيقة من دقائق الطحين مليون سنة ، الكيس كم مليون سنة ؟ طحين العالم كم مليون سنة ؟ حتى الرياضيين قالوا : إن أكبر رقم ! أكبر رقم ! ما معنى أكبر رقم ؟ ضع واحداً بدمشق ، وأصفاً في حلب ، بين كل صفرين ميليمتر ، ضع واحداً في دمشق ، وأصفاً إلى القطب ، بين كل صفرين ميليمتر ، هذا الرقم الكبير لو وضع صورة مخرجه لانهاية ، هذا الرقم قيمته صفر ، أي رقم إذا نسب إلى اللانهاية فهو صفر ، لا شيء ، شخص عاش ستين سنة ، لا شيء ، سبعين ، لا شيء ، ثمانين ، لا شيء ، لو عاش 950 عاماً كسيدنا نوح لا شيء ، لو عاش ألف مليون مليون ، بحبوحه ، ورخاء ، وصحة طيبة ، وطعام ، وشراب ، وعز ، ولدائد ، وشهوات ، لا شيء ، أي شيء إذا قيس بالآخرة لا شيء ، قال له : يا بني ، ما خير بعده النار بخير ، وما شر بعده الجنة بشر ، وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظَلَمُونَ فَتِيلاً (77)

سورة النساء

الإله يقول لك هذا : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ ، ويقول :

وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60)

سورة القصص

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)

سورة التوبة

لو خيروك بين فرنك ، خمسة قروش سورية ، هل يوجد الآن فرنك ؟ لا يوجد ، لو خيروك بين خمسة قروش سورية وبين شيك مفتوح تكتب فيه ألف مليون ، ألفي مليون ، ثمانية آلاف مليون ، مليون مليون ، ألف مليون مليون ، مقبول ، مصروف الشك ، هل تأخذ هذه القروش الخمس ؟ ﴿ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ سحرة فرعون قالوا :

فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) قَالَ أَمْنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَلْعَطُنَّ أَيْنًا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71) قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ النَّبِيِّاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا

فَأَفْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا أَمْنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)

سورة طه

البطولة أن تتعلق بالأبقي ، الميت يوضع في قبره ، يقول الله له : عبدي رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أنا ، وأنا الحي الذي لا يموت ، العبرة أن تتعامل مع الأبقي ، مع الذي قال :

وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)

سورة الرحمن

أن تكون علاقتك طيبة مع الذي يبقى إلى الأبد ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا \* مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ ، قال : إن أهل النار يكون ، وإنهم ليكون الدم ، ولو أن السفن جرت في دموعهم ، أي حتى أن السفن تجري في دموعهم ، لأنه أبد ، دمعة وراء دمعة إلى الأبد تشكل بحراً .

على الإنسان أن يتحرى الصحة في كل ما ينقله :

﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ هؤلاء لا يعرفون الله عز وجل ، هو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا \* مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ ما لهم به من علم ، يهرفون بما لا يعرفون ، وربنا عز وجل يعلمنا في هذه الآية المنهج الصحيح ، لا تقل كلمة قبل أن تعلم ، لا تقل ما لا تعلم ، ولا تمار فيما علمت ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ لقد وصف الله عز وجل الكفار بأنهم لا يتكلمون عن تفكير ، ولا عن علم ، ولا عن نقل صحيح ، ولا عن منطق ، إنما يتكلمون كلاماً عشوائياً جزافاً من غير تبصر ، ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ قال العلماء : إن كنت ناقلاً فالصحة ، وإن كنت مبتدعاً فالدليل ، إذا قلت : فلان قال كذا ، يجب أن تتأكد من صحة النقل ، لعله لم يقل .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6)

سورة الحجرات

إن كنت ناقلاً فالصحة ، وإن كنت مبتدعاً فالدليل ، لا تقبل شيئاً إلا بالدليل النقلي والعقلي ، لا تقبل ولا ترفض إلا بالدليل ، يأتي الضلال من قبول الأفكار من دون دليل ، لا



تقبل إلا بالدليل النقلى ؛ قرآن ، أو حديث ، أو قول لعالم مجتهد مشهود له بالاجتهاد ، مع الدليل الذي جاء به ، لا تقبل إلا بالدليل ، ولا ترفض إلا بالدليل ، أما إذا نقلت فتحزى الصحة في النقل ، هذا هو المنهج ، ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ هذا كذب ! فعن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
**يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب .**

هداية الرواة : إسناده ضعيف

هذا كذب .

### حرص النبي عليه الصلاة والسلام على هداية قومه :

لعلك يا محمد ، الله عز وجل يواسي نبيه الكريم ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ لماذا أنت متألم من أجلهم ؟ لماذا كدت تهلك نفسك من أجلهم ؟ قال العلماء : محبة الخلق دليل حب الحق ، فأنت تحب الناس بقدر ما تحب الله عز وجل ، فكلما زادت محبتك لله زادت محبتك للناس .

اسمعوا قول النبي الكريم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 لا تُكثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ ، وَإِنْ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي .

أحمد شاكر : عمدة التفسير : خلاصة حكم المحدث : صحيح الإسناد

التريخ : أخرجه الترمذي واللفظ له ، والطبراني في ((الدعاء)) ، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) باختلاف يسير

والآية الكريمة :

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22)

سورة الزمر

### محبة الخلق تتناسب مع محبة الخالق :

إذاً هناك قانون ، محبة الخلق تتناسب طردياً مع محبة الخالق ، والخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله ، الخلق جميعاً ، المؤمن الكامل لو أنه تعامل مع مجوسي ، مع عابد صنم ، هذا من خلق الله ، يكرمه ، وينصحه ، ويخلص له ، هذا هو الإيمان ، ليس منا

من غش ، مطلقاً من دون تحديد ، من غش فليس منا ، كائناً من يكن هذا الذي غششته ، إن غششته فلست من المسلمين .

إذاً : النبي الكريم بإجماع العلماء أرحم الخلق بالخلق ، لأنه أقربهم إلى الحق ، هناك إنسان يقول لك : أنا عليّ نفسي ، كلما ، من بعدي الطوفان ، حتى إنه لا يبالي بزوجته ولا بأولاده ، كلما اتسعت دائرة رحمتك ، واهتمامك ، وعطفك ، وعنايتك ، ارتفعت عند الله درجاتك .  
لذلك سيدنا رسول الله كانت الإنسانية كلها تعنيه ، بل كان الخلق كلهم ، الخلق حيوان الحيوان يعنيه كان يصغي إناء للهرة ، فعن شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ : تِثْنَانٍ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ ، وَلْيُجِدْ أَعْدَاكُمْ شَفْرَتَهُ ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ .

صحيح مسلم

النبي عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً يذبح شاة أمام أختها فغضب غضباً شديداً ، وقال : أتريد أن تميتها مرتين ؟ هلا حجبها عن أختها ، هذا عطف على من ؟ على الحيوان ، قال : ليس منا من فرق ، ملعون من فرق بين أم وابنها ، حتى في الحيوان ، من اشترى شاة دون سخلتها ، حرام ، من اشترى سخله دون أمها ، حرام ، فإذا كان النبي الكريم هذا عطفه على الخلق عامة فكيف محبته للمؤمنين ؟

**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (128)**

سورة التوبة

أي أرحم الخلق بالخلق النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

من زادت صلته بالله زادت رحمته :

إذاً : تبين من هذه الآية أن أرحم الخلق بالخلق النبي عليه الصلاة والسلام ، وهذا شيء آخر ، قضية قانون ، كلما زادت صلته بالله زادت رحمته ، فانظر ترحم من ، رحمة المؤمن عامة ، أهل الدنيا يرحمون أولادهم فقط ، لكن المؤمن رحمته عامة ، لا يبني مجده على أنقاض الآخرين ، لا يبني غناهم على فقرهم ، فالنبي عليه الصلاة والسلام بنص القرآن الكريم ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ زادت نفسه عليه الصلاة والسلام ، أي ﴿ بَاخِعٌ نَفْسِكَ ﴾ مهلك نفسك ، من أجلهم ، الواحد منا يقيس نفسه إذا كانت أموره ميسرة على الدنيا السلام ، أساساً أحد الشعراء قال بيتاً عُدَّ أهجى بيت في الحياة الجاهلية :

دع المكارم لا ترحل لئبغيتها      واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

\*\*\*

فإذا أَمَنَ أحدهم مصالحه ، أَمَنَ حاجاته ، انتهت مشاكله ، أما المؤمن فما انتهى من مشاكله شيء ، بدأت مشاكله ، من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .  
سيدنا عمر جاءت هدية من أذربيجان ، فقال : ما هذا ؟ قال له : طعام نفيس لا يصنع إلا هناك ، قال له : هل يأكل عندكم عامة المسلمين هذا الطعام ؟ قال له : لا ، هذا طعام الخاصة ، قال له : هل أعطيت فقراء المدينة كما أعطيتني ؟ قال لا : هذا لك وحدك ، قال له : حرام على بطن عمر أن يذوق حلوى لا يطعمها فقراء المسلمين .  
أي موضوع الرحمة يجب أن ترحم من معك ، عندك بالمحل صانع ارحمه ، بالوقت ، والجهد ، والأجر ، عندك من هم دونك في العمل ارحمهم ، إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي ، حديث قدسي ، إذاً : النبي الكريم كان رحيماً .

### الابتلاء من سنن الكون :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا \* إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا \* وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ هذه الآية تُعدّ أصلاً في العقيدة ، أي أحد سنن الكون الابتلاء ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الدنيا خضرة نضرة ، فيها نساء ، فيها أموال ، فيها بيوت فخمة ، فيها مزارع ، فيها مجالس أنس وطرب ، فيها مباحج ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ من الذي يؤثر طاعة الله عز وجل عن هذا المجلس مجلس اللهو ؟ من الذي يؤثر مجلس العلم على مجلس اللهو ؟ من الذي يؤثر الحلال القليل على الحرام الكثير ؟ من الذي يؤثر أن يبقى مع زوجته عن أن ينظر إلى غيرها ؟ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ نحن في دار ابتلاء ، نحن مبتلون ، نحن في دار امتحان ، إن هذا الابتلاء ثمن الجنة ، والسقوط في هذا الامتحان مما يوجب النار ، النجاح في الامتحان ثمن الجنة ، والسقوط في هذا الامتحان مما يوجب النار :  
إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاحْتِلَافَتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42)

سورة الأنفال

فالجنة لها ثمن ، وهو النجاح في هذا الامتحان ، والنار لها موجب ، وهو السقوط في هذا الامتحان ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ، لكن اطمئنوا ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ :  
إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25)

سورة يونس

في النهاية :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)

سورة الرحمن

والحمد لله رب العالمين